فلسفة اللغة و اللسانيات

- إشكالات المصطلح و المفهوم -

أ. مخلوف سيد أحمد

قسم الفلسفة- جامعة سيدي بلعباس

أصبح الاهتمام باللغة سِمة غالبة في الفلسفة المعاصرة ، ليس لأن مُعاصرونا يعتبرون هم الأولون في اكتشاف اللغة فاللغة كانت تحتل رُتبة الشرف في الفلسفة لِفَرَط الإيمان بأن فهم الإنسان لذاته و لعالمه، يرتكز على اللغة التي تُعبِّر عن هذا الفهم[1]. ثم إنّ علاقة اللغة بالفلسفة علاقة قديمة، تعود على الأقل إلى «أفلاطون» فلقد عالج هذا في حواره «قراطولس» Cratyle مشكلة علاقة الأشياء بالأسماء، و أكد على أنّ الإسم يعكس المُسمى و ينبثق من طبيعته، و إنّ اختلفت الحروف و المقاطع التي يستعملها النّاس من لغة إلى أخرى، بمعنى أنّ الدال يملك القُدرة على محاكاة المدلول و التعبير عنه، فالعلاقة إذن بين الأسماء الأشياء ليست علاقة عادة و عُرف و توافُق، بل هي علاقة عضوية، إذ أن الحرف و المقاطع تُعبّر عن صورة الأشياء و بالتالي فإن أسماء الأشياء تنبثق من طبيعتها[2]. ثم كانت الثورة التي شهدها التفكير اللغوي منذ De saussure و حتّى اليوم تكاد تكون الوحيدة من نوعها في تاريخ العلوم الإنسانية. فقد شهد القرن العشرين، وفي سنوات قلائل، تطور علم اللسانية من حال تلمُس الخطوات الأولى إلى حال تأسيس المفاهيم الرئيسة، و تشعَب هذا العلم إلى مدارس و نظريات، لم تكتف بقلب الدراسات اللغوية التقليدية بل تعدت ذلك إلى العمل على تجديد الرؤى المنهجية في علوم و ميادين أخرى، مثل الأنتروبولوجيا و التحليل النفسي و علم الإجتماع و التحليل الأدبي، إلى ما هنالك. و لا يعود الفضل في ذلك إلى مناهج هذا العلم الحديث و قوانينه فحسب، بل كذلك إلى كون اللغة – وهي مادة اللسانية أساسا – نتاجًا فكريًّا و حضاريًّا مشتركًا بين جميع البشر، و صورة لِما يمكن أن يكون عليه تصوّر الإنسان لدالخله (لنفسه و واقعه) و لمجتمعه. و هكذا نرى أنّ علماء مختلفين في الإهتمامات و الإختصاصات يلتفتون إلى هذا

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

العلم و يستوحون منه المناهج الجديدة و النظرة العلمية الصحيحة[3]. لقد عَرّف علماء اللغة في العصر الحديث علم اللغة Linguistique بأنّه «العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية»، ثم يتوقفون أمام مصطلح العلمية Scientifique و مصطلح اللغة Langage، لكي يوضحوا ما المقصود بهذا التعريف، ونحن نرى بدورنا أننا في حاجة إلى الوقوف أمام هذين المصطلحين لنعرف بدقة ما المقصود بهما في دراسة اللغة[4].

أولاً : العلميّة أو المنهج العلمي، هو مجموعة من الإجراءات أو الأساليب التي يعتمد عليها أي باحث في دراسة ظاهرة من الظواهر. و لقد كان أصحاب المدرسة الحديثة التي وضع أصولها De saussure يفهمون من الموضوعية عين المفهوم الذي يطبقه أصحاب العلوم الأخرى مثل الكيمياء أو الطبيعة أو العلوم الاجتماعية، لأنّهم كانوا متأثرين بالمنهج العلمي للبحث في هذه العلوم، بل لقد استخدم بعض علماء اللغة هذا المنهج استخداما حرفيًّا، و لكنهم عندما وصلوا إلى دراسة المعنى وجدوا صعوبة كبيرة في تطبيق هذا المنهج على هذا المستوى من مستويات التحليل العلمي للغة و المعنى، و مع ذلك نجد من يفهمون أنّ الدراسة الوصفية للغة لا يمكن لها إذا كانت تتمسك كما هي في العلوم الأخرى أن تستطيع دراسة المعنى[5].

كذلك وقف كثير من هؤلاء الوصفيّين في دراستهم للغة عند الشكل أو البنية مثل الأصوات و الصرف و النحو، و أهملوا أو تجاهلوا دراسة المعنى، ولذلك جاءت دراستهم قاصرة و السبب في ذلك فهمهم للموضوعية كما هي عند أصحاب العلوم الأخرى، و عندما إكتشف علماء اللغة المعاصرون هذا القصور في البحث اللغوي و في فهم الموضوعية، أدخلوا المعنى ضمن الدراسة اللغوية، و عدّوا ذلك من الأصول الموضوعية في دراسة اللغة ،لأن تجاهل المعنى، هو جزء أصيل في اللغة يُعد في ذاته عملا غير موضوعي، و من ثم أصبح للموضوعية في علم اللغة مفهوم يختلف عن مفهومها في العلوم الطبيعية الأخرى[6].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : اللغة، يصبح من الصعوبة بمكان دراسة التعريفات المختلفة التي وضعها علماء اللغة أو غيرهم و فحصها فحصا علميا. إذ تحتاج في الحقيقة إلى دراسة خاصة تتبعها تتبُعا سواء عند اللغويّين أو غيرهم من العلماء و الباحثين.

نجد André Lalande يُعرف اللغة بما يلي: «بالمعنى الحقيقي، وظيفة التعبير اللفظي للفكر، سواء كان داخليا أو خارجيا، و بهذا المعنى تتعارض اللغة مع الكلام. حيث يقصد بالكلام la parole اللغة الخارجية le langage extérieur، فاللغة نوع un Genre و الكلام الخارجي جنسه une espèce. و الكلام يدل على الفعل الفردي ، و الذي انطلاقا منه تُمارس وظيفة اللغة la fonction du langage ... و بالمعنى الواسع هي كل نسق من العلامات يمكن استعماله وسيلة اتصال. هناك لغة الحركات le langage des gestes، وكذلك أعضاء الحس les organes des sens يمكن أن تُستخدم لخلق لغة»[7].

أمّا Georges Mounin يعتبرها «القُدرة الملاحظة عند جميع الناس في الإتصال عن طريق الألسن Moyen des langues. أو هي مجموعة كل اللغات الإنسانية الموضحة داخل أمزجتهم المشتركة . أو بطريقة أخرى هي في إستعمال الفلاسفة ، قدرة للاتصال حتى مع أنظمة أخرى غير اللغات الطبيعية (كالوظيفة الرمزية) Fonction symbolique. أو بالأحرى مجموعة وجهات النظر الوصفية أو التفسيرية المتعلقة بكل الأشكال اللسانية، النفسية، الاجتماعية، السيميولوجية، الايديولوجية، أين يُمكن أن نحصر اللغات»[8].

و يذكر Jean Dubois أنّ «اللغة ملكة خاصة بالجنس البشري و ذلك من أجل التواصل بواسطة نظام علامات صوتية أو لسانية مستعملا في ذلك تقنية جسدية معقدة، معتبرا في ذلك وجود نسق رمزي و مراكز عصبية وراثية متخصصة»[9]. و ما يلفت إنتباهنا كذلك أنّ تعريف اللغة أخذ حيّزا كبيرا في الدراسات النفسية، حيث تعتبر مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات نفسية شعورية ، أي عن حالات الإنسان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفكرية و العاطفية و الإرادية، أو أنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أي صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، و التي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرّة أخرى في أذهاننا و أذهان غيرنا، و ذلك بتأليف كلمات ووضعها في ترتيب خاص[10]. و الجدير بالذكر، أن كل إنسان يملك القدرة على تركيبها إبتداء من التعلم أو استعمال نسق أو عدّة أنساق من الرموز الشفهية من أجل التخاطب مع أمثاله و تمثيل العالم[11].

أما عند علماء الاجتماع فهي عملية أو واقعة اجتماعية ثابتة تكمن خارج نفوذ الفرد الذي لا يستطيع، والحالة هذه أن يُوجدها أو أن يُعدّل فيها[12]. أما «جميل صليبا» فيرى أن اللغة Le Langage هي مجموع من الأصوات المفيدة، و هي «ما يُعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم « (تعريفات الجرجاني) . و تطلق أيضا على ما يجري على لسان كل قوم، لأن اللسان هو الآلة التي يتم بها النطق، أو تطلق على الكلام المصطلح عليه، أو على معرفة أفراد الكلمة و أوضاعها. و لكن علماء النفس يُوسِّعون معنى اللغة و يُطلقونه على مجموع الإشارات التي يُعبِّر بها عن الفكر. و لهذا إنقسمت اللغة من جهة ما هي وظيفة نفسية Fonction Psychologique إلى ثلاثة أقسام: اللغة الطبيعية و اللغة الوضعية و لغة الكلام[13].

أمّا اللغة الطبيعيّة Langage Naturel فتشمل على جميع الإشارات و الحركات و الأصوات التقليدية و الظواهر الجسدية ، التي تصحب الإنفعالات و الأفكار. و قد سُمّيت طبيعية لأنّها لم تنشأ عن اتفاق مقصود، أو وضع صريح.

و أمّا اللغة الوضعيّة Langage Artificiel فهي الرموز و الإشارات المتفق عليها كرموز الجبر و الكيمياء، و إشارات الموسيقى و غيرها.

و أما لغة الكلام Langage Articulé أو الألفاظ، فهي طبيعية و وضعية معًا، بمعنى أنها ليست نتيجة وحي أو إلهام أو غريزة، ولا نتيجة تواطؤ أو اختراع، و إنما هي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتيجة تطور تدريجي أدى إلى انقلاب الإشارات الطبيعية إلى ألفاظ مفيدة[14].

و يرى» شومسكي» Chomsky أنّ الدراسة العلمية للغة تكمن في الإنتقال من الملاحظة و الوصف، إلى مستوى التفسير و وضع النظرية[15]. و نجده يميّز بين مستويين في اللغة، فهناك «الكفاية» أو «القدرة اللُغوية» Compétence، و تشمل الوسائل و الأدوات المتوفرة بين يدي الذات المُتكلمة للتعبير عن نفسها. و الهدف من دراسة القُدرة اللُغوية هي وضع «نسق» من القواعد ساعد على توليد و استنباط كلّ العبارات أو الجُمل في اللُغة[16]. و هذا النسق من القواعد يقوم على ركائز ثلاث، المستوى التركيبي Syntactique و المستوى الفونولوجي Phonologique و يهدف إلى تحديد الوحدات الصوتية الممكنة، ثم المستوى الدلالي Sémantique و يهدف إلى تحديد المفاهيم القابلة للتصوّر في سائر اللغات البشرية[17]. و هناك المستوى الثاني، و هو «الأداء» أو «الإنجاز اللغوي» Performance، و يمثل تجلّ أو تحقق منطوق، قابل للملاحظة و الدراسة، للكفاية أو القُدرة اللغوية، و هذا المستوى هو اللغة الخاصة بهذا المُتكلم أو ذاك، و للإنجاز اللغوي علاقة بعدّة معطيات كالعوامل الفيسيولوجية أو السمعية و السيكولوجية مثل الذاكرة و الإنفعال و الإنتباه و سياق المواقف، أو السياق اللغوي، هذه المعطيات كلُّها تُكيّف لغة المُتكلم[18]. و ينتهي «شومسكي» إلى أنّ «القُدرة اللُغوية» Compétence فطرية و شاملة و لا مُتغيّرة، بينما «الإنجاز اللُغوي» Performance خاص و يختلف من فرد لآخر و مُتحوّل، حيث يُبيّن أنّ للأفراد طاقة و قُدرة لإبداع لغتهم و ابتكارها[19].

و يقوم مفهوم اللغة، في علم اللسان و السيميولوجيا على العنصرين التاليين:

اللسان La Langue، بوصفه الشفرة المشتركة Code commun بين مختلف أفراد الجماعة اللغوية. و الكلام La Parole الذي يتجسد من خلال الإبداعات الفردية التي تتم على أساس اللسان (أي الشفرة المشتركة)[20].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يدل «اللسان» على النظام العام للغة، و يضم كل ما يتعلق بكلام البشر، و هو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام، و يتكون من ظاهرتين مختلفتين: «اللغة» و «الكلام». و في هذا الصدد يرى «دي سوسير» أنّه لا ينبغي الخلط بين «اللغة» و «اللسان»، فما اللغة إلا جزء محدد منه، بل عنصر أساسي، و هي في الوقت نفسه نتاج إجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الإجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة[21]. و إذا نظرنا إلى «اللسان» ككل، فإننا نجده متعدد الجوانب و متغاير الخواص، و لأنّه يمتد في غير إتساق إلى أصعدة مختلفة في آن واحد – منها الفيزيائية و الفيزيولوجية و السيكولوجية- فإنّه ينتمي في الوقت نفسه إلى الفرد و إلى المجتمع. و لأنّ ليس بإمكاننا إكتشاف وحدته، فلا نستطيع إذن تصنيفه في أية فئة من الوقائع البشرية[22]. أمّا الكلام La Parole، فهو ما يتلفظ به هذا الشخص أو ذاك. و إذا كانت «اللغة» كنسق من العلامات أو الرموز الدالة على معاني معينة مُتفق عليها اجتماعيا، تختلف من حيث بنيتها الصوتية و التركيبية و الصرفية و الدلالية من مجتمع لآخر، فإنّ «الكلام» هو ما يُميّز بين أفراد المجتمع الواحد[23] رغم كونهم يبقون – بطريقة لا شعورية – خاضعين لنفس القواعد الخاصة ببنية لغة مجتمعهم[24].

و تحتّل مفاهيم «دي سوسير» الثنائية منزلة هامة في الدرس اللساني الحديث، و من بينها الدراسة التزامنية Synchronique و الدراسة الزمنية Diachronique. حيث نجد «دي سوسير» ينطلق في تأسيسه للسانيات من مبدأ تبنيه لطروحات جديدة تعتمد، في دراسة اللغة، على منهج جديد، يمكن تسميته «منهج الدراسة الوصفية» Descriptive التزامنية Synchronique، و هو منهج اعتمده «دي سوسير» في ظل نقده للدراسات اللسانية السابقة المعتمدة على المنهج التاريخي[25] حيث نجد اللسانيات التاريخية تدرس اللغة الواحدة من خلال تطوراتها عبر المراحل المختلفة منذ النشاة إلى الوقت الحاضر لمعرفة تاريخها منذ العصور الأولى و أسباب تغيراتها الصوتية و

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعجمية و النحوية و الدلالية. و أطلق «دي سوسير» على هذا الضرب من الدراسة إسم اللسانيات التطورية Linguistique Diachronique[26]. و لقد استلهم هذا المصطلح من اللغة اللاتينية، إذ السابقة Dia تعني «عبر» و الجذر Gronas تعني «الزمن»، و هكذا يكون المعنى الكامل دراسة اللغة عبر الزمن[27]. إنّ اللسانيات الأنية Linguistique Synchronique تدرس أيّة لغة من اللغات على حدة دراسة وصفية في حالة معينة état de langue، أي في نقطة زمنية معينة[28].

وكلمة Synchronique مشتقة من Syn الآتية من الإغريقية (Sun) و تعني (Avec) أي «مع» و الكلمة الأخرى Knronos، و تعني «الزمن» Temps . ومعناها التركيبي يقصد البنية كما هي موجودة، و يستبعد الإهتمام بالزمن أو التحول أي أن الدراسة السانكرونية تهتم بالأشياء في حالة سكونها و ثباتها[29].

أمّا عند حديثنا عن «ثنائية الدال/المدلول» نجد المنهج الذي تبناه «دي سوسير» يقوم على فكرة النظام اللساني Système Linguistique الذي يتكوَّن من عناصر دالة منسجمة فيما بينها تمثل بنيته الجوهرية، و هذه العناصر هي «العلامات» Signes، و تعد «العلامة» وحدة النظام اللساني، وهي تتكوَّن من صورة سمعية Image acoustique و مفهوم Concept، ثم يُصرح «دي سوسير» بالإبقاء على مصطلح «العلامة» للدلالة على الكل، و تعويض «مفهوم / و صورة سمعية» بلفظتي دال Signifiant و مدلول Signifié[30].

الدال Signifiant، هو رمز مشكل من وحدات صوتية Phonèmes يختلف عددها من كلمة لأخرى مثل «أنشد» و «ناشد»و «شد» و «شدد» و «تشدد»، و يدخل الدال تحت النظام المادي[31] في الدراسة اللغوية باعتبار أنّ الصوت له علاقة بالناحية الفيزيولوجية و الفيزيائية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا المدلول Signifié، هو فكرة أو تصور ذهني أو مضمون أو محتوى «الدال» أو الرمز المنطوق أو المكتوب، أي أن «المدلول» رمز ما هو معناه[32]. و الدلالة هي العلاقة الموجودة بين الدال و المدلول و التي تختلف حسب السياق، و تكون بذلك «العلامة» (أي الكلمة أو اللفظة) هي الكلّ المركَّب من الدال و المدلول، أي أن العلامة هي الوحدة اللغوية Morphème التي منها تتركب الجمل.

يرى «جميل صليبا» أنّ للإشارة Signe (أو العلامة) ثلاث معان، الأول شيء مُدرك بالحواس يُجوّز التصديق بشيء آخر غير مُدرك، أو غير ممكن للإدراك . كازدياد النبض ، فهو إشارة إلى وجود الحُمّى ، و كإضاءة المصباح الأحمر على الخط الحديدي ، فهي إشارة إلى مرور القطار، و كرمز سيّارة الإطفائية فهو إشارة على اندلاع الحريق. و الثاني هو فعل خارجي مُدرك الغرض منه التعبير عن إرادة. و المثال من ذلك، أنّك تشير بيدك إلى الرجل فتستوقفه، أو تطلب منه المجيء إليك، أو تضع السبابة على فمك طالبا منه السكوت. فأنت تُعبّر بهذه الإشارات كلها عن إرادتك، فتأمر و تنهي، أو تُبلّغ بإشارتك ما تريد من الأفكار و العواطف. و المعنى الثالث للإشارة ،هو شيء متحقق في الخارج من شكل أو صوت ينوب عن شيء غائب أو غير ممكن للإدراك، و هو يساعد على إخطار هذا الشيء الغائب في الذهن ، كالإشارات الدالة على المعادن في علم الكيمياء[33].

و بالتالي، فإنّ هذه المعاني الثلاثة تشترك في معنى عام واحد، و هو أنّ الإشارة (أو العلامة) شيء يُخبر بشيء آخر، أو يُعرّف به، و يحلّ محلّه. و لكن هذا المعنى العام لا يخلو من الالتباس، لأنّ الإشارة (العلامة) لا تحلّ دائما محلّ المُشار إليه. إنّ الدخان مثلا لا يحلّ محلّ النّار، و هبوط (البارومتر) لا يحلّ محلّ العاصفة[34].

و تنقسم الإشارات (العلامات) بنوع آخر من القسمة إلى إشارات طبيعية Signes Naturels، و إشارات إصطلاحية Signes Artificiels. أمّا الطبيعية فهي لا تدلّ على الشيء المُشار إليه إلاّ لعلاقة طبيعية بينها و بينه، كالدخان الذي يُشير إلى وجود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النّار[35]، أو كالسحب التي تُشير إلى قرب هبوط المطر. و يطلق أصطلاح الإشارات المُعبّرة Signes Expressifs على الإشارات التي تعبر عن حالات النفس أو حركاتها de l'esprit Les états ou les mouvements، كاصفرار الوجه المعبّر عن الخوف، و احمرار الوجه الدال على الخجل. و هذه الإشارات الطبيعية إمّا بصرية أو سمعية، فالحركات الدالة على الهيجان إشارات بصرية و الصراخ الدال على الألم إشارة سمعية. و الإشارات الاصطلاحية هي التي تكون علاقتها بالشيء المُشار إليه مبنية على حكم إرادي جماعي . و هي ثلاثة أنواع ، بصرية و سمعية و لمسية. فمن الإشارات «البصرية» نجد إشارات الجبر Les signes algébriques و إشارات الموسيقى Les signes musicaux و الإشارات البحرية، و إشارات الصم و البكم، و إشارات السير، و حروف الكتابة. و من الإشارات «السمعية» نجد ألفاظ اللغة، و من «اللمسية» حروف الكتابة المُستعملة في تعليم العميان على طريقة «برايل» Braille . و الناس لا يتفاهمون بالإشارة (العلامة) إلاّ إذا عرفوا تأويلها، و أدركوا علاقتها بالشيء المُشار إليه. و من الإشارات ما يستعمل للدلالة على بعض الإعتقادات و المذاهب، كإشارة الصليب عند النصارى و إشارات الجيوش، و إشارات البواخر الحربية[36].

أمّا «العلامة»[37] Le Signe في تعريفها العّام، فهي ذلك الشيء المُدرَك الذي يؤدي إلى ظهور شيء آخر لا يمكن له أن يظهر من دونه[38]. أو هي كما يذكر «أندري لالاند» شيء مادي، صورة أو صوت يأخذ مكان شيء غائب أو مستحيل إدراكُه[39]. ويعرف Peirce العلامة، فيقول: «العلامة أو الممثل شيء ينوب بالنسبة لشخص ما عن شيء معين بموجب علاقة أو بوجه من الوجوه»[40]. إنّه يتوجه إلى شخص ما، أي يخلق في ذهن هذا الشخص علامة معادلة Signe équivalent أو ربما علامة أكثر تطورًا. وهذه العلامة التي يخلقها أسميها مؤولا Interprétant للعلامة الأولى.هذه العلامة تنوب عن شيء ما Tien lieu de quelque chose عن موضوعها Objet. إنّها لا تنوب عن هذا الموضوع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحت أي علاقة كانت، و لكن بالرجوع إلى فكرة سميتها أساس الممثل Fondement du représentamen»[41].

و يُميز «بيرس» مؤسس السيميوطيقا الحديثة، بين ثلاثة أنواع من العلامات، الإيقونة Icône و المؤشر Index و الرمز Symbole. أمّا «الإيقونة» عنده فهي علامة تُحيل إلى الشيء الذي تُشير إليه بفضل صفات تمتلكها خاصة بها وحدها، فقد يكون أي شيء «إيقونة» لأي شيء أخر، سواء كان هذا الشيء صفة أو كائنا فردًا أو قانونًا، بمجرد أن نشبه الإيقونة هذا الشيء و تُستخدم علامة له[42]. فالعلامات الإيقونية ترتكز على مبدأ التشابه بين الدال و المدلول، كالشبه السمعي مثل إنتاج صوت ما، و الشبه البصري مثل الرسم و الصورة الفوتوغرافية[43]. و أمّا «المؤشر» هو الذي يتناسب مع العلامات الطبيعية، لكنه قد يكون مُسخّرا لأغراض الإتصال و الإشارة المتعددة .فالمؤشرات بهذا المفهوم عند «بيرس»، هي علامات طبيعية مثل: نزول قطرات المياه من السماء مؤشر لسقوط الأمطار، و الضحك مؤشر السعادة أو الفرح. و هناك كذلك «الرمز» عند «بيرس» الذي هو علامة تُحيل إلى الشيء الذي تُشير إليه بفضل قانون غالبا ما يُقْدمه على التداعي بين أفكار عامّة. فهو يصادف العلامة اللغوية عند «دي سوسير» . فالرمز هنا إعتباطي أو عُرفي غير مُعلّل. و مثال ذلك الميزان الذي يرمز للعدل[44].

إنّ اللغة في نظر «دي سوسير» هي عبارة عن «مستودع من العلامات» ، و العلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، تضم جانبين أساسيين هما : الدال Signifiant و المدلول Signifie. فالدال- كما أسلفنا سابقا – هو «الصورة السمعية « التي تدل على شيء ما أو تعني شيئا ما، و المدلول هو «التصور» أو الشيء المعني. و يرى «دي سوسير» أن العلامة اللغوية Signe Linguistique لا تربط شيئا باسم بل تصورا بصورة سمعية. و هذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي البصمة النفسية للصوت، أو ذلك الإنطباع الذي تُشكّله على حواسنا[45].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و عند حديثنا عن «اعتباطية العلامة» Arbitraire du signe، نجد «دي سوسير» يعتقد اعتقادًا مبدئيًّا حاسمًا أنّ العلامة تنشأ من علاقة اعتباطية [46]بين دالها و مدلولها، و يقصد «دي سوسير» بذلك أنّ الدال لا توجد بينه و بين مدلوله علاقة مُعلّلة، إنما يمثل الدال اختيارا صوتيًّا جزافيًّا تواضع عليه أهل اللغة الواحدة للدلالة به على مدلول معين. و عليه فإن صفة الإعتباطية لا يجب أن توحي بأنّ الدال من إختيار الفرد، إذ ليس للفرد القدرة على تغيير أي علامة بأي طريقة كانت بعد ثبوتها في المجموعة اللغوية[47].

و هناك «السيميولوجيا» Sémiologie التي نجد فيها الأبحاث المعاصرة حول «العلامة» تصدر من منبعين إثنين هما: «شارلزسندرس بيرس» الذي هو الأصل في التيار السيميوطيقي، و «فاردیناند دي سوسير» الذي هو الأصل في التيار السيميولوجي[48]. و قد اقترح «دي سوسير» علم العلامة في كتابه (دروس في علم اللغة العام)، و كان يرى أنّ اللغة نظام من العلامات Système de signes التي تعبّر عن الأفكار، و يمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الألفباء المُستخدمة عند فاقدي السمع و النطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيّغ المهذبّة، أو العلامات العسكرية، أو غيرها من «الأنظمة»[49]. و يرى أنّ السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس حياة العلامات La vie des signes في المجتمع. مثل هذا العلم يكون جزءًا من علم النفس الاجتماعي، و هو بدوره جزء من علم النفس العام[50]. و من شأن هذا العلم أن يُطلعنا على كُنْه هذه العلامات، و على القوانين المادية و النفسية التي تحكمُها، و تُتيح إمكانيات تمفصلها داخل التركيب، و إنّ اللسانيات ليست سوى فرعا من هذا العلم على حد قول «دي سوسير»[51].

و عندما نبحث عن السيميولوجيا Sémiologie لغويًا، نجدها مشتقة من الكلمة اليونانية Sêmion و معناها «العلامة» Signe، و السيميولوجية مركبة من: «سيميون» و تعني العلامة و «لوغوس» و الذي هو العلم[52]، إذن السيميولوجيافي مجموعها تعني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

«علم العلامات». و كان الإستخدام الأوّل للفظ في مجال الطب حيث كان يعني تأويل أعراض المرض Interprétation des Symptômes[53]. و لكن من حيث الاصطلاح، نقول أنّ السيميولوجيا هي علم خاص بالعلامات، هدفها دراسة المعنى الخفيّ لكل نظام علاماتي، فهي تدرس لغة الإنسان و الحيوان و غيرها من العلامات غير اللسانية باعتبارها نسق من العلامات ، مثل علامات المرور و أساليب العرض في واجهة المحلات التجارية و الخرائط و الرسوم البيانية و الصوّر و غيرها[54]. و نجد «بيرس» الذي يعتبر علم السيمياء مذهب الطبيعة الجوهرية و التنوعات الأساسية للدلالة الممكنة[55]. و كذلك Roland Barthes الذي يرى أنّ علم السيميولوجيا – الذي نحدّده رسميا بأنّه علم «العلامات»- استمد مفاهيمه الإجرائية من اللسانيات[56]. و نجده يعترض على أطروحة «دي سوسير» القائلة بأنّ اللغة ليست إلاّ جزءا من علم العلامات العام، و بالضبط ذلك القسم الذي يتحمل على عاتقه كُبريات الوحدات الخطابية الدالة[57].

و هناك لفظ « السيمونتيك « La Sémantique الذي هو من أصل يوناني Sémontikos و هو يرتبط بكل ما يتعلق بدلالة الكلمات La Signification des mots و جوهريًا يحدّد علم الدلالات La science des significations. و «السيمونتيك» يعادل «السيميولوجيا» و لكن هذا اللفظ وُلد في تيار فكري يختلف عن سابقه. إذن، السيمونتيك يهتم بدراسة اللغة من حيث دلالتها، و لكونها أداة للتعبير عماّ يجول في الخاطر. و قد أقبل العلماء على هذا العلم بعد أن نضج علم السيكولوجيا اللغوية[58]، أي البحوث اللغوية التي تدرس العلاقة بين الظواهر اللغوية و الظواهر النفسية، بمُختلف أنواعها من تفكير و خيال و وجدان و نزوع.. و تبيّن اثر كل طائفة منها في الأخرى، و تشرح ما تؤديه اللغة من وظائف معتمدة في أدائها على ظواهر نفسية كالإيحاء و التأثير. و تعني بما يكسبه الطفل من اللغة بدافع القوى النفسية..[59].

و في الأخير، يمكن القول أنّ السيميائيات في معناها الأكثر بداهة هي تساؤلات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حول المعنى. إنّها دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني[60]. ففي غياب قصدية – صريحة أو مضمرة – لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالاً، أي مُدركا باعتباره يُحيل على معنى. إنّ هذه القصدية هي أساس كلّ القضايا المعرفية التي عبّرت عن نفسها من خلال مجموعة من المفاهيم الخاصّة بالمعنى، من حيث الوجود و المادة و التداول و السيرورة. فالوجود الإنساني، باعتباره وجودًا للمعنى و في المعنى، أنتج مجموعة من المفاهيم المعبّرة عن هذا المعنى باعتباره غطاءً سميكا للممارسة الإنسانيّة. و على هذا الأساس، فإنّ أي تساؤل عن المعنى هو في واقع الأمر تساؤل عن معنى النشاط الإنساني و عن معنى التاريخ[61].

الهوامش

1. بول ريكور، تر/ علي مقلّد .مقال : فلسفة اللغة ، مجلة العرب و الفكر العالمي، العدد 8، خريف 1989، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص: 4.
2. P:391-404.-Platon ,Cratyle ,ed .garnier.collection GF ,Paris,1967,P
3. بسام بركة، مقال: اللغة و البنية الاجتماعية، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ممتاز، مركز الإنماء القومي ، بيروت، ص :66.
4. الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية (دراسة تحليلية إبستمولوجية)،دار القصبة للنشر، الجزائر،2001، ص :29.
5. المرجع نفسه، ص: 30.
6. حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص: 19.
7. André Lalande , vocabulaire technique et critique de la philosophie , 9eme édition, PUF, Paris, 1962, P :554.
8. George Mounin, Dictionnaire de la linguistique , PUF, Paris,1974,P :196.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9. Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique ,Librairie Larousse ,Paris,1984,P :274.

10. نايف معروف، خصائص العربية و طرائق تدريسها ،دار النفائس، بيروت، ط5، 1989، ص:15.

11. Roland Doron -et François Parot,Dictionnaire de Psycologie , puf, P :395-396.

12. ميشال زكريا،الألسنية – علم اللغة الحديث – المبادئ و الأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ط1983،2، ص :43.

13. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص :286.

14. المرجع نفسه، ص :287.

15. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، 1990، ص :77.

16. نوام شومسكي، تر/ميشال زكريا ،مقال :الطبيعة الشكلية للغة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان 19-18، 1982 ،مركز الإنماء القومي، بيروت، ص:25 .

17. المرجع نفسه، ص: 26.

18. المرجع نفسه، ص: 27.

19. وائل بركات، مفهومات في بنية النص، ط1، 1996، دار الطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ص-ص: 32-31.

20. محمود إبراقن ، المُبْرق(قاموس موسوعي للإعلام و الإتصال)،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر، 2004 ، ص:398.

21. F.DE SAUSSURE ,cours de linguistique générale ,éditions TALANTIKIT,BEJAIA, 2002, P :26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

22. أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2002 ، ص:123.

23. Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,éditions du seuil, Paris,,1972,P :159.

24. أحمد مومن، مرجع سابق، ص :252.

25. هو المنهج الذي كان سائدا في أوروبا فيما قبل ظهور الدرس اللساني الحديث ، خصوصا في فترة ما بين القرن 18 و بداية القرن 20 ،و يتميز هذا المنهج بدراسة للظاهرة اللغوية في جانبها الحركي التطوري معزولة عن بقية الظواهر، أنظر» مبادئ اللسانيات البنوية « الطيب دبّه، ص: 67 .

26. De saussure , cours de linguistique général , op-cit , P :171.

27. أحمد مومن ، اللسانيات النشاة و التطور، مرجع سابق، ص: 63.

28. De saussure , cours de linguistique général , op-cit ,P 123.

29. Marie- Noël,Gary-Prieur , les termes clés de la linguistique ,éditions seuil,1999.P :25.

30. حمد حساني ، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليمية اللغات- ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2000 ،ص : 8 .

31. زكريا إبراهيم ، مشكلة البنية مرجع سابق، ص :49.

32. أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ص : 42.

33. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، الجزء 1، ص :85.

34. المرجع نفسه، ص:86 .

35. André Lalande , vocabulaire technique et critique de la philosophie,op-cit, P : 991.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

36. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص :87.

37. العلامة اللسانية قبل أن تكون مفهوما لسانيا، هي مفهوم سيميائي (من السيميائيات و المراد بها العلم الذي يدرس طبيعة العلامات اللغوية و غير اللغوية و أنواعها – مثل الكلمات ، و الحركات، و الصور، و إشارات المرور، و أضواء الملاحة البحرية، و غيرها – و يهتم بدراسة القوانين المتحكمة في أبنيتها و وظائفها). أنظر (مبادئ اللسانيات البنوية)، الطيب دبّة، ص : 77.

38. - J.Martinet ,clefs pour la sémiologie ,éditions Seghers,1973,P : 54.

39. A.Lalande ,vocabulaire technique et critique ,op-cit, P : 991 .

40. Charles .S.Peirce,Ecrits sur le signe, tra.Par Gérard Deladalle ,éd.du sueil,Paris,1978,P :121.

41. Alain Rey, théorie du signe et du sens , lectures II ,éditions KLINCKSIECK, Paris,1976, P : 17.

42. سيزا قاسم ، بحث السيميوطيقا ، من خلال كتاب (مدخل إلى السيميوطيقا) ، دار إلياس ،القاهرة ، 1986 ، ص: 31.

43. قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، ص: 84.

44. رشيد بن مالك ، السيميائية أصولها و قواعدها ، منشورات الإختلاف ، الجزائر، 2002، ص :28 .

45. F.DE SAUSSURE, cours de linguistique générale ,op-cit, P :85.

46. Ibid ,P :87 .

47. أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، مرجع سابق، ص : 128 .

48. جيرار لودال ، تر/عبد الرحمن بوعلي ، مقال : بيرس أوسوسير ، مجلة العرب و

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفكر العالمي، العدد 3، 1988، مركز الإنماء القومي، بيروت ، ص:113.

49. عبد الله إبراهيم و آخرون، معرفة الاخر (مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ص : 73.

50. De Saussure , cours de linguistique générale ,op-cit ,P : 22.

51. قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، مرجع سابق، ص:77.

52. بارنار توسانت ، تر/محمد نظيف ، ما هي السيميولوجيا ؟ ، ط 1 ، إفريقيا الشرق ،المغرب، 1994 ، ص: 9 .

53. أ.كندا ريتوف، تر/ شوقي جلال، الأصوات و الإشارات، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 1972 ، ص:10.

54. Georges Mounin ,Introduction à la sémiologie ,éd.de minuit , Paris ,1970, P: 67.

55. عادل فاخوري، مقال: السيمياء عند بيرس ، مجلة الدراسات العربية، العدد 6، 1986، ص : 115.

56. رولان بارث، تر/عبد السلام بن عبد العالي، درس السيميولوجيا، ط 2 ، دار توبقال للنشر، 1986، دار البيضاء، المغرب، ص : 20.

57. رولان بارث، تر/محمد البكري، مبادئ في علم الأدلة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص:160.

58. محمد التونجي و آخرون، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، المجلد الأول، ط ، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت، ص :342.

59. المرجع نفسه، ص : 341.

60. A.J.Greimas,sémantique structurale,éd.Larousse ,Paris ,1966,P : 4.

61. Ibid , P : 5 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com